(لقد خلقنا الانسان فى كبد (١))

سألنى بعض الاخوة عن معنى هذه الآية فكان جوابه أن لخصنا له معانى سورتها الكريمة وقد رأينا أن نمتع بها معنا قراء مجلتنا الكرام •

تفسير سورة البلد

(لا أقسم) بمعنى لا داعى لأن أقسم (بهذا البلد) يعنى مكة بلد الله الحرام مهبط وحى هذه السورة (وأنت حل) قد استحل أهل مكة ايذاءك وقتلك (بهذا البلد) الذى يتمتع فيه أهله بأمن الله وحمايته لهم خلافا لما عليه غيرهم فى غيره من خلق الله فى سائر أرضه (ووالد وما ولد) كما لا داعى لأن أقسم بكل والد وكل مولود من بنى البشر أو سائر الأحياء للتنبيه على ما يعانيه الانسان ويكابده طوال حياته من متاعب وأعباء (لقد خلقنا الانسان) جنس الانسان (فى كبد) عناء وتعب لا انفكاك له منه وهذا هو المقسم عليه بما تقدمه لو أن هناك ما يستوجب القسم وكأن الله يقول اذا كانت مكة مع ما خصها الله به من الفضل والكرامة لم تخل ولم يعف أهلها من نصيبهم من متاعب الحياة وحمل أعبائها وكنت أنت يا محمد مع مالك عندنا من شرف القدر وعلو المنزلة لم تستثن من هذه القاعدة وكان كل والد وكل مولود فى هذا العالم يحمل حظه الذى يناسبه ويناسب وضعه فى حياته من هذه المتاعب وتلك الأعباء على ما هو معلوم ومشاهد للجميع فأى داع يدعو لأن أقسم لكم مؤكدا خبرى اليكم أنى خلقت الانسان كل انسان فى عناء وتعب وجهاد ونصب وهذا هو حاله أمامكم أصدق شاهد على ما أقول (أيحسب) أيظن هذا الانسان المعافى لبعض الوقت من هذا الكبد المفروض عليه لجهله وغروره (أن لن يقدر عليه أحد) ألا فليدفع عن نفسه اذن ما لا رغبة له فيه ولا قدرة له على تفاديه من قضاء الله وقدره ان استطاع وما هو بالمستطيع (يقول أهلكت مالا لبدا) بددت وأتلفت وضيعت مالا كثيرا هذا مع حب الانسان لماله عادة وطبعا وحرصه على أن يحتفظ به طول حياته ان استطاع وفيه دليل عجزه وأنه محكوم بقوة أكبر منه وهنا تلفتنا الآية الى أننا محكومون فوق قهر الله لنا

(١) من كتابنا : « تأملات فى قرآن الله وأوضاع الناس » ص ١ بتصرف •

بقدرته التى هى أكبر من قدرتنا بعلمه المحيط بكل تصرفاتنا سواء فى مالنا أو غيره فتقول (أيحسب أن لم يره أحد) وفيها الى ما تقدم معنى التهديد بالعلم وبالاحاطة به من كل جوانبه وتستطرد بنا الآيات لتذكيرنا ببعض نعم الله علينا وأن الواجب يقتضينا أن نصرفها فيما يرضاه لنا ومنا فتقول (ألم نجعل له عينين) يرى بهمـا ويبصر ما يحتـاج الى ابصاره (ولسانا) يعبر به عن نفسه (وشفتين) تضبطـان له النطق وتسـاعدانه على استكمال التعبـير (وهدينـاه) أرشدناه وعرفناه (النجدين) طريقى الخير والشر يوازن بينهما ويختار لنفسه أيهما شاء وفى بعض ذلك ما يكفى لاقناعه بأن قدرتنا وعلمنا من فوق قدرته وعلمه وعمله وتصرفه كله (فلا اقتحم العقبة) أى ان هذا الانسـان التعب الكنود بطبعه ووضعه لغفلته وغروره وتفريطه فى طاعة ربه لم يتخط حاجز المـادة الأرضى ليصـل عن طريق تخطيـه الى مرضـاة ربه (وما أدراك) أى ما أعلمك (ما العقبة) ما الذى نعنيه باقتحام العقبة ؟ انه (فك رقبة) أى يتمثل فى عتق نفس مسترقة وتمكينها من فك اسارها وامتلاك حريتها بدلا من ذلها وعبوديتها لغير خالقها (أو اطعام فى يوم ذى مسغبة) وكما يتمثل فى تقديم طعام لجائع محروم فى يوم مجاعة وشدة وهو أحوج ما يحتاج اليه وسواء كان (يتيما ذا مقربة) بل هو أحق من غيره لفقد عائله وصلة قرابته بمطعمه (أو مسكينا ذا متربة) يعنى محتاجا بين الحاجة أسكنه عجزه عن السعى لسد حاجته (ثم كان) يعنى هذا الانسان المطلوب منه تخطى واقتحام العقبة الى جانب بذله وسخائه بماله للخير (من الذين آمنوا) أى صدقوا بالله ودينه بحق وصدق (وتواصوا) أوصى بعضهم بعضا (بالصبر) حبس النفس على ما تكره وعما تحب ما دام فيه ما يرضى الله ويمنع من سخطه وعقابه (وتواصو بالمرحمة) بأن يحسنوا ويبروا غيرهم (أولئك) أصـحاب هذه الأوصاف (أصحاب الميمنة) يعنى الفرقة الناجية الفائزة برضـا ربها واكرامه (والذين كفروا بآياتنا) تنكروا لديننـا وكذبوا بدلائل حقنا عليهم ووحينا اليهم على عكس من سبق تعريفهم (هم أصـحاب

المشأمة) الشؤم وسوء العاقبة لغضب الله عليهم (عليهم نار مؤصدة) مغلقة زيادة فى تعذيبهم والتنكيل بهم نعوذ بالله من أن نكون منهم •

أهم أهداف ومقاصد تلك السورة الكريمة

أولا : تنبيه الله عباده الى فضل مكة والنبى محمد صلى الله عليه وسلم وجميع الأحباء بترشيحهم للقسم بهم أول السورة على ملازمة الكبد للانسان طبعا وعادة •

ثانيا : تأكيده تعالى كون الانسان بحكم طبيعته ووضعه على هذه الأرض مكابدا مكدودا •

ثالثا : لفته تعالى الأنظار الى غفلة الانسان وغروره فى حال الأمن والعافية حتى ليظن أن لا قدرة لأحد تعلو قدرته •

رابعا : لفته الأنظار كذلك الى تزايد سيطرة هذه الغفلة وهذا الغرور بحيث تطغى على تصرفه وسلوكه فيحسب أنه مطلق التصرف فى ماله يهلكه ويبدده كيفما شاء دون رقيب أو حسيب •

خامسا : تذكيره تعالى عباده ببعض نعمه عليهم وفى مقدمتها العينان واللسان والشفتان والادراك المميز بين النافع والضار •

سادسا : تنديده بالمتخاذلين والمعرضين عن تحمل المكاره وتجشم الصعاب لتحقيق رضاه عنهم •

سابعا : مقابلته بين من آمنوا به وأطاعوه وعملوا بتعاليمه ومن كفروا به وبدينه وجزاء كل من الفريقين فى دار جزائه •

محمد محمد أبو علو

امام ورئيس جماعة أنصار السنة

المحمدية بالبحيرة